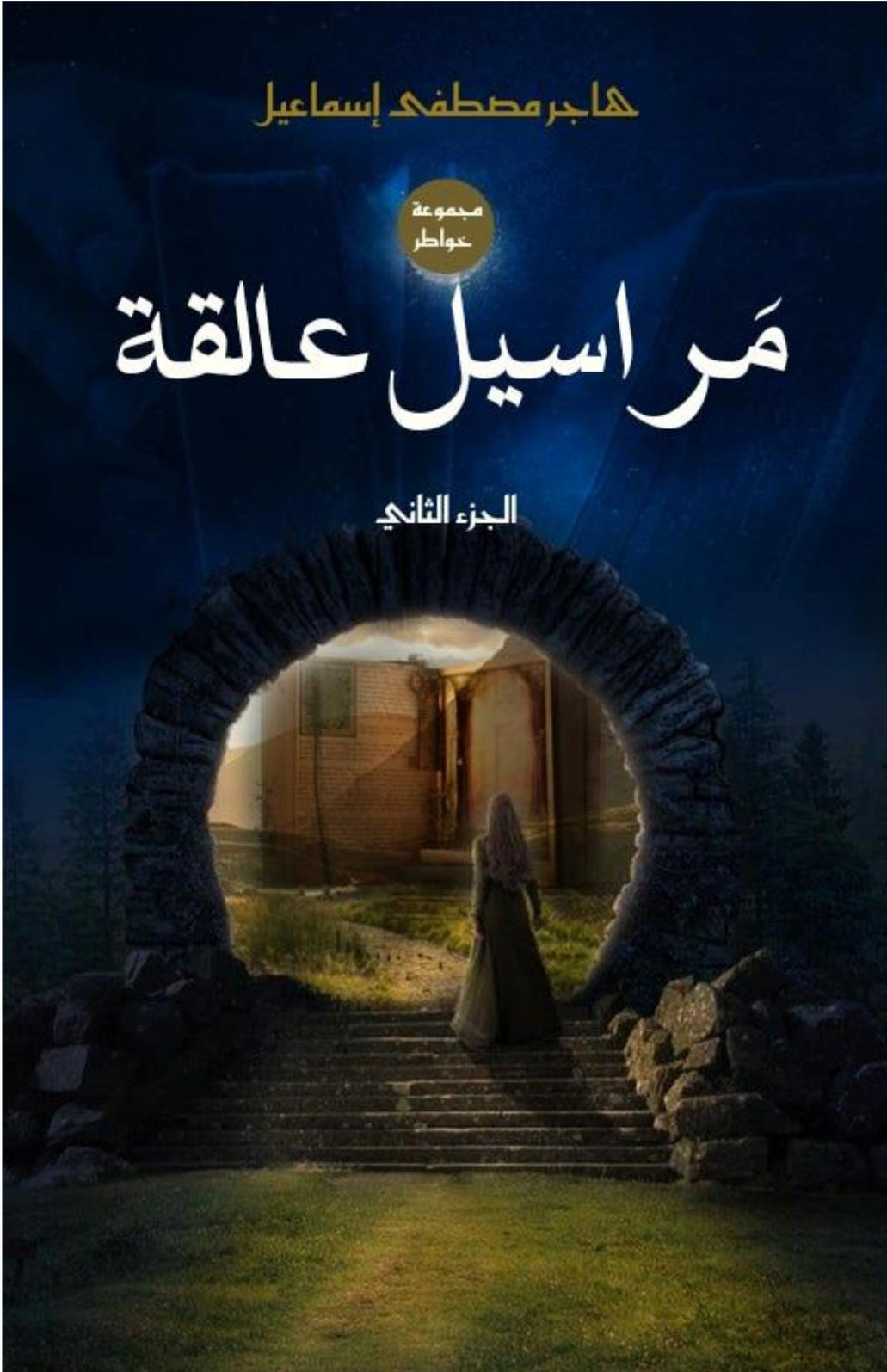


هاجر مصطفى إسماعيل

مجموعة
عواطر

مَر اسيل عالقة

الجزء الثاني



كتاب مَراسيلُ عالقةٍ

الجزء الثاني

بقلم: هاجر مُصطفى إسماعيل.

المقدمة:

مرحباً بك عزيزي القارئ، التقينا من قبل بين
دفتي كتابٍ يحمل ذات الاسم ولكن بمعالمٍ
مختلفة، أردتُ أن أُجدد اللقاء هنا وأتمنى أن
تكون كما عهدتك شغوفاً بما تقرأ.

ستجد العديد من الكوارث الإملائية بين
صفحات الكتاب- لن أنكر-؛ فلستُ أهلاً لأكون
كاتبةً بعد، لكن إذا ما وجدت بين كلمات الكتاب
ما يلامس شيئاً خفياً بداخلك، أو يربت على
هين دواخلك؛ سأكون خطوتُ أول خطوةٍ لأكون
جديرةً بهذا اللقب.

نهايةً،

فألغة أمّ لنا، والكتابة صديقةٌ صادقة،
والحروف أيادٍ تُربت علينا، وسيظل ما أكتب
مراسيل عالقة، حتى تصب الأمن بقلبٍ
مرتجف، حينها تكون حققت المرجو منها،
وتجوب الأفتدة مُحلقة.

الإهداء:

لأولئك المُنهزمين، الذين يتعرقلون بمنتصف
الدروب دائماً، أصحاب الإنجازات الغير مُكتملة
والأحلام الفائتة، من يرسمون ابتسامة حانية
على شفاههم؛ بالرغم من كون دواخلهم
تحترق.

أضع هذا الكتاب بين راحتي أيديكم _ وإن لم
يكن يكفي _ ؛ اعتذاراً لكم عما فعلته الأيام
بأرواحكم المُتعبة.

هاجر مُصطفى

"ستصل"

لقد قُرعت طبول الثانية عشرة تيهًا ولربما
حينئذٍ بعد منتصف الليل أو الإفتقار للنوم.

البعض يعلم _ أو الكل لا أدري _ أنني هجرتُ
قلمي من مدةٍ ليست بالقريبةِ أبدًا، لا أعلم ما
دفعني لأكتب الآن أو ماذا سأكتب حتى، لربما
تُراهِاتٍ لا فائدةَ منها ولربما اشتقتُ للكتابة بعد
طول غياب، ولربما جنّت لأخاطب المتألمين
والمتضرعين لربهم آناء الليل وأطراف النهار.

الحديث غير مُنمقٍ أعي ذلك، الموضوع بلا
موضوع أصلاً، والمُتحدّثُ إليهم بعض
الهائمين التائهين، خذ بعين الإعتبار أيضاً
عزيزي القارئ أن النوم يُلاطف عيناى، محضُ
تُراهِاتٍ ألم أقل لك؟
إذا لا تكمل إن أُصبت بسهام الملل.

ما وددتُ قوله يا صاح أن الألم ليس بمخلدٍ،
والحزنَ ليسَ بمُقيمٍ والمرضَ ما هو إلا اختبار
من حكيمٍ عليمٍ، لا تتراجع عند أول شوكةٍ
تُغرس بقدمك، وإن بُترت يدك قُرباناً لتمسكك
بحلمِ دربك فامسك حبال الطريق بعضدك، امضِ
بطريقك أعمى البصر عن أي محاولةٍ لهدمك،
وسر عزيز النفسِ عالي الطموح، مناضلاً
طموحاً لا تصيبك سهامُ اليأسِ.
ستصل.

من موقعي هذا أخبرك أنك ستصل وبجدارة،
ستخيبُ آمال الشامتين بك، و تُطأطئُ رؤوسَ
الحاقدين عليك، وستزهر قلوب مُحبيك بلذةٍ
السلامِ على ما تحديتَ حتى وصلتِ.
الآمال يا عزيزي غاليةٌ ولا بد من أن تبذلَ
ضعف ثمنها كدّاً ليس بخسّاً، وأعلم أن الله يرى
دموعك التي ترقرت في الطريق ولن يضيعها
هباءً منثورًا، توكل عليه حاشاك أن تحتاج
سواه أحدًا.

"إذا بغيت النجاح"

يا صديقي!، إذا بغيت النجاح فسّر في دربه
أصمًا أجل أعيها كن أصمًا عن لغو البشر
وتقليلهم من شأنك، النجاح يا عزيزي لا يُدرك
بالرفاهية ولكن بالكد يُدرك، بالعزم يدرك فكن
ذا إرادة لا تهزها رياح هزوهم العاتية، وكن
أعمى البصيرة عن محاولاتهم بإسقاطك، أ
وانهض فلا زال الدربُ محفوفًا بتحدياتٍ إن
تجاوزتها بجدارة ستصل لا محالة لمُرادك.

"من رحم الفشل".

النجاحُ يوجد من رَحِمِ الفشل، فلا فشل بلا نجاح ولا نجاح بلا سقوط، والسُّقوط يجب أن يُتبع بنهوض، كل العُظماء وُجدوا من رَحِمِ المُعاناة، لو شئت لهدمتَ الجبال وأقمتهَا، فلا يغرنك ذلك المُنحدر الذي تعثرت به في بداية الطريق، فقط انهض مُجددًا وتسلق حتى تبُلُغ من القممِ القممَ".

" لكل شيء ضريبة "

لقد أدرك المرء أنه لو أراد الحصول على
مُبتغاه لأبْد أن يُضحى به أو بغيره، نحنُ لا
نُوجد مُرفهين ننعِم برغد الحياة ولذاتها لكننا
نُقاتل الضيم؛ لنقتنص من بين أنيابها فُرصًا
جديدةً مُشرقةً أو مُرهقةً رُبما.

السعيُّ قد يولج للوصول ورُبما لا؛ فالأمرُ ليسَ
حتمياً أبداً، لكن بيدك أن تورق منام الأيام حتى
تصل وتحفر بأنياب أظافرك الهشة اسمك بكل
فخرٍ ونجاح.

ما دُمت ذا عزمٍ فلن تُهزم بعزيمةٍ يقظةٍ
مُتجددة، وآمالكُ جارية لا تتجلي، ستظل
تُحارب لتصل ولن تصل إلا مقتولاً أو مخذولاً؛
ورغم خطورة حالتك ستبتسمُ لكونك أحرزت
الهدف وتخطيت خط البداية".

"محض بداية"

رُغم أنف اخفاقي المُتكرر وسقوطني المتوالي
لازلتُ أثق أنها محضُ بداية، كل ما تمنيتُهُ لم
يتمناني يوماً، و ما لم أتمناه أتى إليّ ركضاً
ويكأن القدر يُصر على التمرد وقلبي يُصر على
عدم الخضوع؛ فلازلتُ أتأرجح بين شقي
الرحى.

أقف الآن على أعتاب ما كُنت أطوق له وبشدة
واثقةً بأنه ما حَرمني بل رَحمني من شرٍ متوارٍ
خلفه، ألقى السلام على كل أمر حسبتُهُ شراً
ورأى الله به الخير، أودع تلك الأماكن التي
وددتُ أن تكون لي موقلاً وأحمد الله كل الحمد
على ما أختدر به الآن فلربما يكون المنحُ
متوارٍ خلف سِتار المنع فلا تُبصرهُ الأبصار بل
البصيرة.

"اطمئن"

سلامُ الله على قلبك أيها المارُّ من هنا.

أما بعد؛

أعلمُ أن الحياة قد صَمَخَتْ واختياراك قد
خَذَلَتْكَ، وأن الدنيا بلفظها دُنِيَا تركت بك من
الفقد أثرًا بالغًا لم تُرمم الأيام صدوع قلبك
الهيّن ولم تلملم بعثرته ولم تجد لندوب روحك
ضامدًا، عصفت رياح الخريف بك؛ لتتساقط
أدمعك كما تتساقط أحلامك حلمٌ تلو حلم،
تشبّثت حتى بترت حبال الآمال أناملك ولا زلت
تسعى، لم تياس رغم أن قلبك ابيض من الحزن
وعينيك قد جفت منابعها، أتظن أن الأقدار كُلها
سُطرت لتكون ضدتك أم تظن أن حلمك تواري
تحت الثرى؟

أم انتقل إلى رحمة الله ولم يُشيع جنازته سوى
الحاقدين عليك والكائدين لك؟ أمات بقلبك كما

مات بأعينهم؟ أم سقط من جعبتك على قارعة الطريق والتفقه شخصٌ آخر قادرٌ على المضي؟

أود فقط أن أخبرك أنه بموت حلمٍ قديمٍ يوجد حلمٌ آخر من رحم العزم، وكل ظلامٍ يوجد من جوفه شعاع أملٍ ينير الدرب.

تظن الآن أنك كنت تُبالغ بأحلامك أعلم، وتظن السوء بذاتك التي عانت وتُلقي عليها اللوم _كُل اللوم_ ، هي لم تُقصر فضم قلبك إليك وربت عليه ليهدأ، "وما كان ربك نسيًا.

لو لم يقرأ البشر سوى تلك الكلمات المكتوبة على ظهر روايتك؛ فالله قد قرأها حرفاً حرفاً، رأى محاولتك بعد كل مرةٍ سقطت بها ويشهد على كل دمعةٍ أحرقت بها أوراقك، يرى كل أملٍ جديدٍ كان ينبت بثربة قلبك الهين وهو بقادرٍ على إنبات آلاف الآمال غيره، يرى بعثرتك وتشتتت وهو بقادر على لم شملك، رأى كم مرةٍ ناجيته وكم مرةٍ دعوته، وكم مرةٍ سقطت لتحتضنك الأرض لكن الأقدام قد دعستك، رأى

كل جرح تركته الأيام لك وهو على جبر كسرك
إذا يشاء قدير".

اضرب بكلمات البشر _ وما هي سوى لكلمات _
عرض الحائط؛ فهي محض تراهاات سترهق
قلبك فقط، اعلم أن الله يُسيرك لقدرك ولو لم
ترى به خيرًا، أعدك ستراه بالقرب العاجل،
ستقول يا ليت لم أتعجل وعينيك التي زرفت
دموع الحسرة ستزرف دموع الفرحة، لربما
فقط منع عنك ما كنت تحسبه خيرًا ليمن عليك
بالخير الحق، " ما أصابك لم يكن ليخطئك وما
أخطئك لم يكن ليصيبك"؛ فكل شيء عنده
بمقدار، وكل أمر له مكيال، الحزن ليس أبدياً
والسعادة ليست مُخلدة، والجبر آتٍ وحتمي
والخير مقبلٌ في مواعده لا مؤخر له، اطمئن".

"لم نُبالغ".

كما جرت العادة يا صاحبي أنه كلما ضاق
صدري ألتجئُ للكتابة _ بعد اللجوء لعالم السر
وأخفى _ فيلهمني الإفصاح عما يختلجُ بنفسِي،
والتطرقُ لما يجتاحُها.

أما بعد؛

لم تكن أحلامنا مبالغٌ بها ولم يخُننا واقعنا كما
نتداول فيما بيننا؛ ولكن مسنا العمى فلا نرى
أن الخير مكنونٌ في المنع، وأن الأذى متوارٍ
خلف ستار المنح.

نظن أننا فقدنا والواقع أننا فقدنا أثناء السير
بدربٍ معتم لا وميض له، كُنّا نظن أن روحنا
التائهة به، ولكنها سلكت دربًا آخر نجهله إلى
الآن".

تتوالى علينا التباريحُ فجاءًا حتى حسبنا أننا
شرُّ قومٍ ابْتُلِيَ بنا خيارِ القومِ، لكن في الواقع
نحنُ من ابْتُلِينَا، ولو أبصرنا الخير الذي يعقُبُ
البلاءَ لكان البلاءُ على قلوبنا هينًا سائغًا،
ولكن في النهايةِ نحنُ بشرٌ يا صاحبي _
"وخلقَ الإنسانُ ضعيفًا".

اعلم أن سعيك لم يذهب هباءً كما تظن، " وأن
ليس للإنسان إلا ما سعى". لك سعيك وإن لم
يكن فيما سعيت له.

لطف الله يشملُ الكونَ باتساعه، فما بالك بقلبٍ
هينٍ كقلبك؟

يسمعُ صوتك المنكسر، ويرى دمعك المنحسر،
حاشاه أن يغض الطرف عنك، هنالك جبرٌ آتٍ
فتحلى فقط بالصبر".

الراحة تَكْمُنُ في الرضا؛ فإن رضيتَ كان حقًا
عليه أن يُرضيك بأضعاف ما نال منك،
سَيُعَوِّضُكَ عن مرارةِ الأيام بما يليقُ بنفسك،
وعن أذى الأشواك العالقة بروحك بضمادٍ
لجروحها.

فقط انتظر ولو مكثت ألف عام، ستُجبرُ الكسور
ولو طال الانتظار".
والسلامُ لقلبك.

"لله نحن"

لسنا فقط لله وإليه راجعون، بل له مرجعُ
أعمالنا وأعمارنا، أحلامنا وأقدارنا وآجالنا
وكلنا إليه.

البلاء يا صاحبي بهذه الدنيا عابرٌ _ كما أنتَ
تمامًا _ إن أحسنتَ ضيافتهُ ولنقل رفقتهُ أحسنَ
فراقك.

"فلا تنسَ نصيبك من الدنيا" وإن توالت عليك
التباريحُ والنكباتُ فجاءًا، كُن ذا يقينٍ في
ريعان شبابه لم يعجز فلن يُعجزك شيءٌ حينها.
اخلع عنك رداء الهون والذلة وقم فلك في
جوف المصائبِ أمرٌ لو علمتهُ لهان عليك كل
ذلك.

ولا تقطن لمصابك من الوصب والنصب ولا
تعرضن عن الإلحاح برفع الضر عنك إذا ما بك
وقع، لا أحد منا معصومٌ من الموت كما لا أحد

معصومٌ من الخطأ ولا يوجد من عُصم عنه
الابتلاء.

ولو بعد حين ستحتل بسمتك سماء وجهك، و
تُشرق شمسُ أيامك ويكتمل بدرُ لياليك لكن
المُمتحن هنا رضاك، فكيف أدى إمتحانه؟
"قلنا لا تخف" ترتمي بأحضان والدتك إن كنت
ترتجف وتأوي لأضلع والدك إن ضللت الطريق
فأين رب العالمين من خطواتك تلك؟
لا تخف فلقد سخرنا لك أحضان والدتك لتمدك
بالدفع وأضلع والدك لتكون لك مؤنلاً إن
ضاقت عليك نفسك، ووهبناك قرءاناً عربياً
ليكون لك من وحشة الدنيا مؤنساً ويكون
لميلك مسنداً ويكون لوحدتك سنداً، فقل الحمد
لله لما وهبك وعد.

"لا جديد يُذكر"

أصبحت تمر بنا الأيام على ذات الوتيرة، لا
تغيير بها.

يتساقط لنا حلمٌ تلو حلم، ونتجرع من كؤوس
الفقد ما يجعلنا ثملين، نطوي آمالنا ونضعها
بجيوبنا، سائرين بها في دورب الحياة بكل
ثباتٍ ضعيف تخطو خطواتنا، نخشى فقدانها
كسابقته.

نرسم ما كنا نطمح إليه على جدران الشوارع
ليُخاد طيفه ويحفر للقادمين من بعدنا ملحمة
محاولاتنا المستميتة للفوز به والتي باءت
بالفشل في كل الأحوال.

نُخفي كل أملٍ جديدٍ أسفل أظافرنا، خشية أن
يصير ألمًا، ونبحثُ عن السبيل في أعين من
حولنا بعدما ضلنا طريقنا وفشلنا بالعودة.

وكما يبدو أننا سننظُّ في مُعترك الحياة بلا
جديدٍ يُذكر.

"سيعوضك عنها"

تلك المفقودات التي خلفتها خلفك، والتي
انسابت من بين يديك بغتة _ رُغماً عنك _ ، لم
يكن بمقدورك التشبُّث بها؛ كما أنه ليس
بمقدورك نسيانها، ستُوهب عطايا غيرها _ لم
يألفها قلبك من قبل، لكنه سيألفها، ربما _ ،
ستغبطُ بها وتكون عنها راضياً؛ لكن هذا لن
يُزيل عنك الغصة التي تُصيب فؤادك حينما
تراها بين يدي غيرك، ناظراً لها نظرة المحروم
منها، لكنك تحمد الله.

لقد خلق الله التعويضات لتجبر خواطرنا
الكسيرة عما فقدته، وخلق الفرص لتمحو آثار
ما قبلها من كمد، ليس هيناً أن تُسلب ما كانت
ترجوه نفسك وبشدة، لكنك ستظل تسعى حتى
تبلغ مسعاك أو تُبشر به، وتنتظر ذلك الأمر
الذي يمحو مرارة ما قبله أن يأتي.

"سيفعلها تعلم، لكنك تتساءل أكون قادرًا على
تضميد نديبات الذاكرة، فتتسلى؟

" معارك "

نُخوضُ مَعَارِكَ عِدَّةٍ فِي حَيَاتِنَا، رُبَمَا يَكُونُ
أَهْمُهَا مُعْتَرِكُ الدِّينِ وَالدُّنْيَا، نَخْشَى أَنْ نَذِلَّ
فَنَتَهَاوَى فِي قَاعِ الْجَحِيمِ، وَنَأْمُلُ أَنْ نَنْجُو
فَنَسْمُو فِي سَمَاءِ النِّعَمِ.

تأتي بعدها معارك الحياة وذاتها؛ فنجد الدراسة
في مقدمة المحاربين، البعض يحسبها نهاية
الطريق إن تعثر وسقط بين دروبها، والبعض
الآخر مهما كانت النتائج ينهض ويكمل طريقه
مُتَحَدِّيًا كُلَّ الصِّعَابِ.

رُبَمَا نَجِدُ فِي الدِّرَاسَةِ ثِقَلًا عَلَى النَفْسِ؛ فَلَا
يُحِبُّهَا الْكَثِيرُ مِنَّا، لَكِنِّي عَلَى النَّقِيضِ كُنْتُ
أُحِبُّهَا، نَجِدُ بِجُلُوسَةِ الْمَكْتَبِ أَلْمًا وَإِنْحِنَاءً
لِظَهْوَرِنَا، وَفِي إِمْسَاكِ الْقَلَمِ وَرِثَاءِ الْوَرَقِ
إِرْهَاقًا لِأَيْدِينَا، تَدْمَعُ أَعْيُنُنَا مِنْ فِرْطِ تَرْكِيزِهَا
بِحَوَاسِبِنَا وَالْكَتُبِ، نَجِدُ فِي رِتَابَةِ الْمُقَرَّرَاتِ
نُفُورًا مِنْهَا، وَفِي كَثْرَتِهَا حِمْلًا عَلَى عَاتِقِنَا.

رُغم توالي الإختبارات وتكدّس المناهج إلا
أنتي لم أجزع يوماً، أخاف أن أجزع فأقنط
فتزول النعم التي تحُفي؛ والتي لم تراها
بصيرتي إلا على حافة تذكُّرها.

في حينها يجول بخاطري عناء ما يتكبده أهلنا
لنحظى بفرصة العلم والتعلم؛ فننتفع به وئنتفع
بنا، لا يابهون لجودهم بالمال والصحة والسهر
لنصل باسمين مُعانقين الأهم وأمانا.

بعض الآباء يرون في أبنائهم آمالهم التائهة
والتي لم يبلغوها يوماً، أراهن أنهم كانوا
ليتكبدوا عناء الدراسة مُقابل تلك الفرصة
والتي نراها نحن شيئاً عادياً بعد مسعاهم
ليهبوا لنا ما لم يوهب لهم.

أتذكر أيضاً لحظات مرضي التي جعلتني أُلزم
سرير المشفى بحلول إختبارات مرحلة

كالثانوية الهامة في عيون المجتمع تلك، كم كنت حينها أطوق لجلسة لذلك المكتب الموجه للظهر، وكم بكيت لأن الألم بدد تركيزي ولم أستطع أن أرغم عيني على النظر بكتاب، ويدي تلك التي كانت ترتعش فتسقط الأقلام، كانت تطوق للحظات الإحتجاج على كثرة الواجبات.

كُلما جال بخاطري أنه كان يمكن ألا أبرأ مما أصابني فلا أقرب ذلك المكتب ولا أمسك ذلك الكتاب و عوضاً عن دراسة المرض كنت سأظل أعانيه، وبلا معرفة العلاج كنت لأتناول جرعاتٍ منه على الإفطار؛ أصبحتُ أخشى أن يذل لساني بما يُزيل تلك الأنعم، فرُغم أنني أصبحت أتأفف من كم المُقررات إلا أنني أحمد الله أن منحني تلك الفرصة ثانيةً، أحمدُهُ على منحي قدرةً لأُكمل الطريق، وصبراً على ما لا أُطيق، وعلى أبوين يبذلان وسعهما لأبلغ مساعٍ لم يبلغاها.

"لا عليك".

من وهبك أحقية الحلم حاشاه أن يسلبك إياه
بين عشية وضحاها؛ بل إنه يرويك أملاً لتُكمل
ما بدأتُه حدَّ النهايةِ _ وإن لم تصل لغاية
أُمنياتك _.

يهمسُ إليك ضميرك اليقظ أنك قصرت في
تأدية واجباتك، قد تكون حقاً أضعت فرصاً
ذهبيةً فيما مضى لكن لازال هنالك مُتسعٌ من
الوقت؛ فلا تبتئس.

ابدأ من عند هذه النقطة، ولك الحق الآن أن
تصنع منها درباً جديداً يوصلك لمُرادك أو
سرداباً يهبطُ بك لأدنى نقطة من الأرض.

لا بأس عليك إن سقطت مرةً أخرى؛ فجميعنا
هذا المُحارب الذي يتخذُه السقوط خليلاً..

السعي المسبوق بإخفاقٍ يتبعه نجاحٌ ذا مذاقٍ
حلو، يؤنسُ النفسَ ويهديها طمأنينةً لا خوفٍ
بعدها.

لربما أكون أكثرَ شخصٍ يُمكنه أن يصفَ لك
شعورَ الخوفِ من ركضِ خيباتِ المرءِ خلفه،
وأكثرهم تغاضياً عما لا أُطيقُ له وصفاً.

الأمنُ يكمنُ في الله يا صاحبي؛ فهو الذي يُعينك
على عراقيلِ الدهرِ ونوائبِ الأيامِ، حتى وإن
كُنْتَ على حافةِ الهاويةِ فبيقينِكَ أنه سيُنقذُك،
سيُنقذُك.

أقبلِ إلى الله بقلّةِ حيلتكِ وهوانك، بكسركِ
وعرجكِ وكثرةِ ذلاتك، طالباً منه أن يُصحِّحَ
ميلكِ ويُرشِدَ خطاكِ الوئيدةَ للرُّشدِ، ويربِّثُ على
قلبكِ الهينِ؛ لكيلا ينتفضِ خوفاً من فقدانِ
حلمه، خشيةً أن ينسابَ من بين يديه.

"نُعاني"

البوح بالألم يا سيدي أسهل بكثيرٍ من كتمانهِ،
عندما تجدُكَ مليءً بكلماتٍ لا طاقةً لك بها
وعباراتٍ قاسيةٍ أرهقت كاهلك من فرط ما
وقعت على مسمعك، البشر ليسوا بهذا النقاء
وأنتَ لستَ بهذا السوء، لكنها محضُ تَراهِاتٍ
أفضوا إليك بها وقلبك الصغير صدقها فأنهكته،
لكن كفاك إصغاءً لتلك السموم وسِرِّ باحثًا كن
الترياق بدروب نفسك، لا تبحث عن يدٍ تكون
لك جسرًا من بشاعة العالم، فيدك هنا تشد من
أزرك وتحثك على النهوض مرةً أخرى،
الاستسلام ليس من شيمك فلا تلتفتن لكل تلك
الهتافات التي تُلقى اللوم عليك، هنالك شيء
واحد عليك اثباته أنه لو ضاع منك أملٌ في
مُفترق طريق، ستصنع من الآمال غيره
وتسعى لتجعلها حقًا، وهنا وعند تلك النقطة
يوجد الأملُ من رحمِ الألم".

"المحن منح"

بعضهم لا يملكون رفاهية الانبهار أو الانهيار
رُبما؟

لا يملكون من حُطام الدنيا سوى قلبٍ مزقتهُ
الخييات، وأرهقتهُ المُعاناة، أشخاصٌ صمتهم
يتحدثُ بألف ألمٍ وألم، وضحكاتهم تُخفي خلفها
ألفَ صرخةٍ وصرخة، أولئك المعنيون بالحنن
والصابرينَ على ما أصابهم من كمد.

ذوي النظرات الصادقة والدعوات الخالصة،
المنتحبينَ ليلَ نهار، و المُناجينَ لربهم، بأن لقد
ذُقنا من الأسى حتى جاءنا الوجدُ وبه وجهنا
اكتسى.

من يعلمون أن اختياراتهم ما كانت أبدًا صائبةً
ولو أصابت فقد أصابت صميمَ أفئدتهم، سلامٌ
عليكم وعلى صمودكم الهش، على ضعف
قوتكم، وعلى قلوبكم الباهتة فقد عانيتم ما
عانيتم فما اشتكيتم وكنتم على ثقةٍ بأن المنح
تولدُ من رحمِ المحن.

"ليس ندمًا"

عمدتُ إليّ أشكو لي مني وأشكو رتابةَ الأيام
وثقلها عليّ.

مرَّ بي طيفُ حلمٍ مضى فسقطت من مُقلتي
دمعةٌ ليست بالنادمة لكنها المُلتاعة الشكّاءة
لمرارة ما لحقتني.

لازلتُ أتعجب كيف لها أن تكون ضامدًا لكل تلك
الجروح ومن أين لها بتلك المهارة في حياة
ثوب القوة الذي ترتديه رُغمَ ضعفي!
برحتُ ولم أبلغ فحتى العثرات عرقلت قدمي
بعدما كنت راسخة الخُطى".

سألتها كيف لها أن تجعل من خيبتها بسمةً
بهيةً لا بأس تُهدي بها للحزانَا بالرغم من أن
كُلّ البأس بقلبي؟

لا أعلم ماهية ما سلبتهُ الأيام من جعبتي إلى
الآن؛ لكن أعلم حق العلم أنه لن يعود مُجددًا،
فهل يُمكن تعويضه!

يُخبرني الجميع أن كل شيءٍ سيَمُرُّ لكن حتى
المُرُّ لو مرَّ يظلُّ أثره عالِقًا بالمرءِ حتى المماتِ
لا مفرَّ منه.

وُهبتُ من الصبرِ ما يجعلني احتضنُ خيباتي
بكلِّ رضاٍ لكنها تظلُّ خيبات، طرقَ الخُذلانِ كلِّ
ساكنٍ بي وما سمحت له بكسري رِغم
هشاشتي، لم أنحني رِغمَ ميلي وما مللتُ من
المُضي برِغم كون الطريق يعج بالأشواك.
وللحق لقد وثقتُ بي بكلِّ خطوةٍ غير متزنة،
ورفعت رأسي بي بكلِّ مقامٍ وُضعتُ به، فليس
لتقليل الذات مكانٌ بيننا".

الآن ومن هذا المَقامِ ألوحُ لكلِّ أملٍ مضى
وأفتحُ ذراعيَّ للأقدارِ علَّ عناقها يُطمئن قلبي
المُرتجف، لَطالما وَثقتُ أن يدَّ الله فوق كلِّ يدٍ
وأنه سينظر لقلبٍ مكلومٍ مثلي؛ فهو على جبره
إذا يشاءُ قديرٌ".

"اعتراف"

للحق وددتُ لو أخبر رفاقي القراء أنني لازلتُ
بمُقتبلِ الطريقِ لا يليقُ بي أن ألقبَ بالكاتبة أو
الأديبة وما شابه، لا يعلمُ الجمعُ هنا أنني أكتبُ
رغمًا عن بؤس الأيام، أسردُ آهاتِ البشر التي
لا تتخطى حدود أفواههم؛ بالواقع مخرجها
صمامُ أفئدتهم لا أفواههم كما نعتقد؛ فالقلبُ
نحيبهُ يغلب نحيبَ الأعين ورعشتهُ تفوقُ
الأيدي حتى ابتسامته تُشرقُ شمس المرء
بسماء وجهه عن ابتسامته.

لم ألقِ للجمهور ولا حشود الإعجاباتِ بالأ من
قبل، ولم يُوثق اسمي على غلاف كتاب أو
رواية إلى اليوم، وما خطبتُ بجموع القراء
قط، لا أخفي عليكِ سرًا أن وسادتي لا زالت
مُبللةً بأحرفٍ باكيةٍ لم يقرأها أحد سواي.

عندما أفصحُ عن آمالي الحالمةِ لأحدهم يسخرُ
من علُوها جُل السُّخرية، لا أدري أسُخريته
كانت لقصرِ قامتي أم لعلو سقْفِ آمالي!

لم أجرو يوماً على السؤال بالأصل".

سَخرتُ قلبي ليكون ضماًداً لجروح العابرين،
لأحزانهم حافظاً أمين، ولربما يمحو أدمع
الباكين، ينصتُ لأناتِ المُتعبين، ويفخرُ بآمال
الحالمين.

يقترِبُ "حبرُه" على استحياء من قلوبهم فيُلقي
بها لطفاً خفياً يعينهم على اكمال الطريق، لك
الحق بحذف الرءاء كما تشاءُ لينتشر الحب بين
ثنائياً أضلعهم ليتنفسوا العزمَ رغماً عن أنف
رتابةِ الأيام، يلون دُروبهم الباهتة بالاستناد
للألوان".

فقط جُل ما وددت إخبارك به "إن لم يكن لك
رفيقٌ يربُّ على قلبك ويقبلُ ندوبك رَغْمًا عن
ألمك، بالحنين يُعانق جرحك فهاك "قلمي"
والبَاء اختيارك إن شئت ."

" ليست عادلة "

لا أحد منا يحصل على كل شيء في هذه الحياة
يا رفيق، فلا بد أن ينال من الحزن والفقد
شيئاً".

أن تبذل قصار جهدك، أن تفنى روحك، أن تجد
جُل ما قدمته ذهب أدراج الرياح ليس بالهين،
تالله ليس بالهين أبداً.

عندما تتخيلك تُحلق في السماء وفي ذات الآن
تكتشف أنها ما كانت إلا أضغاث أحلام وواقِعك
بالدرك الأسفل من البؤس.

شعور ليس بالهين على قلبك حينما ترى كل ما
كنت تطمح إليه يتبخر شيئاً فشيئاً وأنت أيها
المسكين ما بيدك حيلة.

استنزفت طاقتك وخارت قواك وما عُدت بقادر
على إكمال الطريق؛ تتأرجح بين شقي الرحي؛
فكلما خطوت خطوةً تجد أشواك الدهر تنغرس
بقلبك، لا تملك رفاهية التراجع ومُجبر على
المُضي رغماً عنك، تسقط ومُجبر على
النهوض، وتكسر روحك ولا بد لها من جبيرة،

تحاول أن تربت على قلبك المنتحب بعد كل
هزيمة تليها هزيمة، وترفع فقط عينيك الدامعة
للسماء عليها تُرسل معاناتها لربها.

هنالك فقط شبح يخنق قلبك، فتسمع صوتًا باكيًا
مكلومًا لايمالك من أمره شيئًا، وذات الصوت
عندما يخفت تجده يتمم بالدعاء؛ فقد ضاقت
عليه نفسه وما وجد له مؤنلاً سوى ربه
يتضرع إليه، فقد أصبح لسان حاله "معاذ الله
أن أكون من القانطين، لكنها والله أثقلت
كاهلي، ثقيلةٌ على قلب هشي مثلي، وفقط وحدك
يا خالقي قادرٌ عليها، وظني فيك أن المهتدي
بنورك لن يضل".

" دفاء المنزل "

لازال بداخلي شيءٌ مُبهم يُفضل الجلوس
بالمنزل عن مُداعبة رائحة الشارع لأنفي؛
مهما تعددت الأماكن ونادتني الفُسح.

يظل للمنزل بداخلي حبٌ من نوع خاص لا
أدري له سببًا، بالرغم من كون المرء بفطرته
يهوى الأماكن الجديدة وقصائد الغزل المعقودة
بناصية بريق اللحظات المميزة؛ إلا أنه بكل
مرةٍ يشعر بالحنين لبيته، وكأنه مغتربٌ لبضع
ساعاتٍ لينعم بجمال الدنيا من حوله، لكنه
وبالرغم من كل تلك الميزات التي يقدمها له
الخروج إلا أنه لا مفر من العودة وإن طالت
الغربة.

لا أدري لتعلقي هذا سببًا.

لربما لأن دفاء المكان يتسرب لقلبي فيُشعره
بالسكينة، ولربما لكون البشر خارجًا ليسوا
أسوياء بالمرّة؛ فهم مُتصنعون لمشاعر لم
يكنوها لنا يومًا، فيبقى ساكني البيت أصدق

البشر بلا حاجةٍ لدليلٍ أو إثباتٍ أو تصنعٍ؛
الزيفُ كاشفهُ نظراتُ الأعينِ ووحدهم من كانت
نظراتهم تجاهنا دافئةً ولو كان الصقيع يسري
بأيامهم.

صوت أمي بالمنزل ينزلُ علينا السكينة،
وخوف أبي ونصائحها دائماً تحفنا بالدفء،
مشاكسة الصغار لبعضهم، ولربما تجذبني
مشاهدة أحد أفلام الكرتون برفقة أخي الصغير،
وبجانبا حبات الفشار.

لربما يروقي الجلوس بغرفتي لفتراتٍ طويلة
ليس ملاذاً للعزلة أو شعوراً بالكآبة _ كما
إتهم البعضُ العُرف _ بقدر كونه ملاذاً
للطمأنينة أسرتنا وحدها كانت تحتضن أحزاننا
وأفراحنا بكل لين، وكانت وسائدنا تدخر أدمعنا
تحسباً لليلةٍ جافةٍ قد تأتي.

ذلك الركن بالغرفة الذي يحتضن مكتبتي
الصغيرة والتي تحوي عددًا ليس بالكثير من
الكتب؛ لكنها ذات قيمة.

صوت إذاعة القرءان الكريم المنبعث من
المذياع، رائحة الطعام المطهو، ورائحة الشاي
بالنعناع في ليالي الشتاء الباردة، يظل هناك
شيءٌ خفي يجعل للبقاء بالمنزل شعورًا مميزًا
عن أي تجمعٍ خارج أركانه.
يجعله الأكثر دفئًا".

"لن أنصت لك"

رميت لي ببضع تحذيراتٍ ووليت لي ظهركَ
راحلاً، كانت لهجتُك أكثرُ حزمًا من كونها
نُصحا؛ لازلْتُ أذكرُها.

كُنْتُ تخشاني دائماً أن أتعلق بحبال الوثوق
الهشة فنهيتني عنه، حذرتني مراراً من تعاطي
جُرعات الأمل بكثرة؛ لئلا تُصيبني إحدى خيبات
الأمل بمقتلٍ فتبراً مني.

أخبرتني ألا أخرج للعالم باكيةً أبداً، وخفي
عليك أن العالم هو من يُبكيني حال مواجهته،
لا ألومك لرؤيتك إياي طفلةً كثيرةَ البكاء رغم
أنني نضجت بما فيه الكفاية؛ فالحقُ معك.

تتهاني عن مشاهدة أفلام الرعب والتعلق
بالقهوة ولعب الشطرنج لأنها بمنظورك لا
تُلائمني.

تري وأمثالك أن زرع الضياءِ بالأنفُس
المنطفئة مضيعة، وأراه جُل العطاء، فكل شعاعٍ

نورٍ تُلقِي به في قلب أحدهم سيرتدُ إليك عندما
تفقدُ بصيرتك لا بصركِ.

لقد خُلِقنا لننشرَ السعادة؛ وإن لم يكن لنا
نصيبٌ منها يومًا، كيف أتخلى عن رؤية
إبتسامة بائعة الورد بين إشارات المرور؟
ولمعة عين أخي الصغير عندما احتضنه وهو
يبكي؟

وإشراقة وجه صديقتي عندما أخبرها كم هي
جميلة؟

يؤسفني القول إنني لن أنساق خلف نصائح
وتحذيراتك تلك عدا واحدة والتي تخبرني بالألا
أدع قلبي الهين يهوى بقاع اليأس ما دُمت
أحيا.

"مِندِيلُ ورقِي"

ليست المناديل الورقية وحدها القادرة على
محو أدمع أحدهم، هناك أيضاً كلمةً حانية،
ابتسامه صادقة، خُلق العناق أيضاً ليمحو
قطرات الدمع تلك، بثُ الطمأنينةِ بقلبٍ مُرتجفٍ
يُثمر كثيراً، أن تُحدث الشخص كم هو جميلٌ
رُغم أنف ندوبه، يُمكنك أن تُهاجم همه وتمحوه
بكل ذلك والذي لا يقوى مندِيلٌ على فعله".

"لا تُفِرْط في العطاءِ فيُفرضَ عليك"

، هكذا أخبرني أحدهم عندنا وجدني أجود بما
لم يُقدمه لي أحدهم يوماً".

ليس كل من محى دمعك لم يبكي يوماً،
لربما لم يجد من يُجفف أدمعه، أو لم يُلقي
أحدهم بوجهه منديلٌ ويرحل".

ليس كل من ربت على قلبك الهين سعيداً لنا،
لربما لم يجد من يُربت على قلبه يوماً ويخبره
أن كل أمرٍ سيكون بخير".

ليس كل من ضمد لك جرحاً خالياً من الندوب،
فلربما يُخفي الندوب أسفل أكامه ويزهد على
نفسه بالضماد؛ ليُضمدك.

كُن جوادًا بالعطاء فجميعنا بحاجة؛ لكننا
صامتون.
"لا نطلب".

" أثر "

بعضُ الكلماتِ يظلُّ أثرها عالِقًا بالمرءِ حتى
المماتِ؛ ولها وجهان في هذا الحين: وجهٌ
يُقطع نياط القلب ويُدمع العين حالما يتذكره
العقل، ووجهٌ آخر يجعلُ الفؤاد يبتسمُ مرغمًا.

فلتكن لطيفَ المرور ليدوم أثرُكَ عمراً، ولا تكن
منبتَ شوكةٍ فيبرأ منك كلُّ عابرٍ متأففاً منك
مُقتلَعاً إياك.

أتعلم؟

يود المرء بين الحين والآخر لو كان بسمةً
تُلقي بقلبِ يائسٍ، أو تربيتهً يدٍ تحتُ الغير على
المُضي، ولربما عناقٌ دافيءٌ يحنو على من
سرى الصقيع بلياليهم الباردة فيورق منامهم،
يود المرء لو كان جبراً لخاطر أحدهم، أو حلماً
تمناه رضيعٌ في مهده فتحقق، يتمنى المرء لو
كان أشياءً كثيرة عدا كونه إنساناً.

؛ فالبشرُ مؤذونٌ بطريقةٍ بشعةٍ.

"يا صاحبي"

وأشدد على قلبي يا صاحبي فالقلقُ سرطانُ
يمرضُ القلوبَ فيصيبها بالفتور ، وذكرني
بذكر الله بين الوهلةِ وشقيقتها فالمرءُ بطبيعتهِ
نسيٌّ يطوق للتذكرةِ، واعضد على أناملي ندماً
إن وجدتنِي عُدتُ لما عاهدتُ على تركه، وكن
لأضلعي مُقيماً إذا مالت، وكن لي سنداً إذا
أصاب قلبي العجزُ والكبرُ، وأخبر الله بعد موتي
أنني كُنتُ أجاهد لإصلاح عيبي، وادعه أن
يُلحقني بك بجنتهِ.

"كيف؟"

لأزلتُ أتساءلُ في قرارةِ نفسي، "كيف لبضع كلماتٍ بمحادثةٍ إلكترونية أن تُرَبِّت على قلبي بكل هذا اللطف، كيف لها أن تمسح دَمعي بكل هذا اللين، وأن تُخرج ضحكاتي من جوف الضيم، كيف لكلمة لا بأس أن تمحو البأس _ كل البأس _ من كاحل أيامي، وكيف لكلمة اطمئني أن تُهدأ من انتفاضةِ نفسي".

أتذكر عندما كُنت أبكي ذات ليلة و وجدتُ إحداهن تُعانقني بالكلمات، يفصل بيننا آلاف آلاف الأميال لكنها كانت أصدق من تربيته يدٍ مُناقفة، كانت تستشعر صوتي المختنق بالبكاء من مرارةِ كلماتي؛ فقد كانت مُحادثة مبللة بالدمعات، كانت فقط ببضع أحرف قادرة على أن تجعل كل الأسي ينجلي".

إلى من كانت كلماتها ضمادًا لندوب روعي،
أحبك".

"أمنية"

أود لو تَجْمَعنا الحِياةَ يوماً بأناسٍ قد تفرقت
سُبُلنا عنهم بلا رجعة.

أن تتجلى العقبات من طريقنا، وتُنير دروبنا
بعد ليالي العتمة.

أن تتجو خطواتنا الوئيدة من التعثر.

وأن نحصل على ما نريد ولو لمرة؛ فينتهي
مضمار السباق هذا بوصولٍ يستحق كل العناء.

وتكون النهايات سعيدةً كما حسبنا البدايات،
فتقينا شر التعلق بالمسلوب.

أود فقط أن نكون أخذنا حصتنا من الفقد؛ فلا
مزيد من الخسارات.

حينها مرحباً بآمالٍ جديدةٍ يتبعها عراقيلُ
المسرات".

"وحدة"

أعرف جيدًا ملامح الحياة مع توالي الخسارات،
شكل الأيام التي نحتاج فيها لخدّر؛ لكننا نجدنا
بلا ملاذٍ يحتضن وحدتنا.

لأنك تُجيد فنّ التعلّق تخاف.

شيء ما يدعوك إلى الحذر، حتى مواضع الأمن
تخطوها بخطى مُرتبكة، تخشى السقوط بقاع
خيبةٍ جديدة أو تخلٍ جديد.

كُل ما هو بشريّ مرعبٌ في نظرك؛ فالبشر
يجيدون تطبيق دروس الخُذلان عليك، _ لربما
من قابلتهم فقط _ ، ولربما كانت جمُّ اختياراتك
خاطئة.

ينقبضُ صدرك لو ألقى أحدهم عليك السلام،
وعينك تهتف: "لا تقترب"؛ ليس حبًا للوحدة،
لكنك تخاف أن تخدش روح أحدهم كما خدش
كُل العابرين روحك.

لكنك رُغم رهبتك من التجمعات تمقت الوحدة.
وحدة لم يفتعلها الأشخاص فقط بل فعلتها كل
آمالك وأحلامك التي هجرتك ضاربةً بتشبتك
بها عرض الحائط. حتى الماديات كانت بارعةً
في تركك، وحدة ألمك الباقي.

يبقى الأمر الذي لا يمكن تجاهله الآن كونك
وحيد.

تلقى للجميع نصائح بالألا يدعون الوحدة تتمكن
منهم؛ ويكأنك تتصح نفسك التي وقعت قتيلة
وحدثها. قائلاً بقلبٍ مُنفطر مما لاقاه: "إياكم
والوحدة؛ فالوحدة تعني:

أن تحزن؛ فلا تجد من يتقاسم حزنك معك،
أن تُلَازم فراش المرض؛ فلا تجد من يمد
بالدواء يده إليك،

أن تسير بين الخلق فردًا تحمل "يا الله" بقلبك،
ويسرون هم جماعات،

أن تبكي فلا يحتضن أدمعك سوى لين وسادتك
وليس لين شخص،

أن يهتز صوتك المُختق بالبكاء ولا يسألك
أحدهم: ما بك؟

لو ملكت يدك ألا تكون وحيداً؛ فلا تكن.
الوحيدون جميعاً يتألمون بطريقةٍ أو بأخرى.

"أشباه أصدقاء"

نحن محاطون بأشباه أصدقاء، متصنعون للود،
مزيفون للمشاعر، متدثرون برداء الحب وما
هم سوى منافقين.

الصديقُ يا صاح من يصدقك عندما يكذبك
الجميع، من يرفق بك عندما يمسس قلبك
الصقيع، ذاك الذي يساندك عندما تميل،
ويحملك عندما تقع، من يرمم شروخ روحك
عندما تتكسر، وذاك المضمّد لجروحك حتى
تندمل.

الصديق الحق يا عزيزي ما هو إلا مرآة لك،
مصحح لعيوبك لا مزيناً لها، مادح لك لا
متصنعٌ لنيل ودك، ويعز عليه أن يراك واهناً
بل يود لو وجدك وتدّاً ثابتاً، من يسحبك للجنة
و يبعدك عن النار، ينتشلك من الجحيم ليلقي
بك في النعيم، من يقول يوم القيامة "رفيقي
والجنة يا الله".

فخالل من يكون لك أنت ويجعلك بفؤاده ساكناً.

بها أزهرت.

ويكأن الجراح الغائرة تثبت وردًا من بين
شقوقها، بعناقٍ صديقٍ صادقٍ غير متصنعٍ
للود.

يكفيني لها حُبًّا أنها الوحيدة من تركت
لحصوني رفاهيةً الإتهيار أمامها، وحدها رأيتني
مُتعريّةً من حزني، ووحدها رأت الجانبَ الهشَّ
مني، تالله لن أبلغ لو أجزتُ عنها وصفًا أن
لُطفَ الأرضِ صُبَّ بقلبها".

مَاذَا لَوْ ظَلَّ كُلُّ حُبِّ نِزَاهٍ غَامِضًا!

أَسِيْظَلُّ بِالأَعْمَاقِ مُخَلِّدًا خَالِدًا، أَمْ سِيْظَلُّ بَيْنَ
ثَنَائِيَا القَلْبِ رَابِضًا، وَيَكُونُ القَوَادُ بِهِ نَابِضًا!

سَتَظَلُّ أَعْمَاقُنَا قَبُورًا لِمَشَاعِرِنَا، وَسَتَكُونُ
قَلُوبُنَا أَرْضًا بُورًا لِأَزْهَارِ مِشَاتِلِنَا، تَاللهُ لِيَنْبِتَنَّ
اللهُ نَبْتَةَ حُبِّ نَقِيَّةٍ بَيْنَ ثَنَائِيَا أَفْئِدَتِنَا، لَنْ يَدِنْتَهَا
صَاحِبُهَا بِالبُوحِ أَبَدًا، بَلْ سِيْظَلُّ لَهَا كَتُومًا حَتَّى
يَأْذَنَ اللهُ بِأَمْرِهِ، سَيَتْرِكُ حَبَّهُ لَهِ لِيَعُوضَهُ اللهُ بِهِ
فِي رَحَابِهِ، سَتَخْتَدِرُ أَشْوَاقُ الحُبِّ بِرُوحِنَا
لَتَقْتَلَعَ أَشْوَاقَ البُوحِ مِنْ أَلْسِنَتِنَا، لَتَفْسَحَ
الطَّرِيقَ لِأَعْيُنِنَا بِالبُوحِ، حِينَمَا يَقَعُ القَلْبُ
بِالقَلْبِ لِأَلْقَابِ، يَجِدُ المَحِبَّ بَيْنَ رَاحَتِي مُحِبِّهِ
السُّكْنَا بَعْدَمَا يَأْسَ الأُلْقِيَا، حِينَمَا يَكْفَأُ الرِّحْمَنُ
بِمَحْوِ مَرَارَةِ السُّقْيَا وَيَهْبُهُ حَلَاوَةُ الأُلْقِيَا، فَيَكُونُ
مَرَحِبًا بِحِبِّهِ لِأَمْ حُبًّا بِهِ، وَيَكُونُ أَسْمَى مِنْ
كَوْنِهِ حُبًّا، بَلْ يَكُونُ تَحَابًّا فِي اللهِ، حَتَّى يَجِيءَ
أَمْرُ اللهِ.

أيا صغيرتي!، تالله إن قلبك بلور، و روحك
زجاج فاحذري أن تضعيه بين راحتي الشخص
الخاطيء، فيقطع نياطه حزنًا، ويحطم روحه
قطعًا، كدمة القلب يا جميلتي لا تُري لكنها تؤلم
وبشدة، تنزف و بغزارة، وتقطر دمعًا فاقداً
لحمرته، عزيزتي البكاءة الكتومة، الهادئة
الصاخبة، الذابلة المزهرة، فقط من يقبل قلبك
بما به من أشواك هو من يستحق أن يزهر ذاك
القلب في حضرته، من يتحمل تناقضك و حزنك
وشكواك، ذلك الذي ببسمة منه تشرق شمس
وجهك و توجد ضحكاتك من جوف ألمك، هو و
لا أحد سواه سيكون قادرًا على أن ينبت من
بين شقوق قلبك البور زهورًا ومن جوف
ظلامه نورًا، فانتقي مالك فؤادك بعناية، لئلا
عليه يجور.

يا صغيرتي لا يوجد حبٌ إلا في كنفِ ربِّ العالمين، حبٌّ ممزوجٌ بخشيةٍ يكللهُ سجدةٌ بها دعاءٌ من نوعٍ خاصٍ يختلطُ بدمعةٍ شوقٍ من قلبٍ محبوبٍ أضناه الإشتياق، لقد أجمعَ الجمعُ الطيبُ أن بناءَ الشعورِ الصادقِ على أساسٍ باطلٍ يبطله فهو آذاك باطلٌ.

أنا لا أقصصُ أجنحتك ولا أحطمُ لك الآمال، فإن لم يكن أملاً ثابتَ الأركان، يُطمئن الإستنادُ عليه فهو زائفٌ لا محالةً زائلٌ.

فليكن حُبُّ ربِّ العالمين بقلبكِ يفوقُ حبَّ البشرِ القلائل، وإذا ما وُضعَ بقلبكِ حبٌّ عبدٍ فلتتركه لدعوةٍ في جوفِ الليلِ فإن كان خيراً لقلبكِ فستجدينه لا محالةً آتٍ.

وإن رأيتِ من أحدهم تلطفاً وتقرباً لحصونِ قلبكِ فأغلقِي الأبوابَ حتى تجدي ذاتَ التقربِ لحصونِ بيتك، فإن مقامك في الإقبالِ لا الإعراضِ عنك، وإن قلبكِ أثمنُ من أن يُدنتَ بهفواتٍ من كلمٍ معسولٍ كاذبٍ.

لازلتِ تلكَ المرأةَ الفريدةَ من نوعها، الخارجة
عن المألوفِ والخارقة للعادة، يسكنُ اللُطف
أسفلَ أظافركِ وتُنسجُ القصائدَ من وميض
عينيكِ.

هنا في هذا العالمِ والمقصودِ بالعالمِ قلبكِ،
رجلٌ يدعو اللهَ بكِ كل ليلةٍ ويود لو طُويت
المسافاتُ ليُطلَ على جمالِ معالمِ الدنيا من
نافذةِ عينيكِ.

يشقُّ عليهِ إيجادكِ لكنه يبحثُ عنكِ في وجوه
العابرينِ ورائحةِ المُخضرمينِ بالقهوةِ وقلبه
رُبما.

رأتهِ الجموعُ يحاولُ مرارًا بأن يُجسدكِ بحبر
دواته ليكونَ إيجاده لكِ سهلًا، لكن هيهات
خذلتَه اللغةُ والشعرُ ونفتهِ القصائدُ بعيدًا فلم
تخلقِ لها أجنحةً لتعبرَ الأزقةَ باحثةً عنه فيكِ
وعنكِ بكِ.

احتلتِ معالمِ وجهه فبات يشبهك، ولازلتِ
تسرين به مسرى الدم بالأوردة، يحاول أن
يجعل منك ذكرياتٍ مقبعتها رواياته الحزينة التي
لن يحين ربيعها إلا بقدومك؛ لكن هيهات
يقتبسُ منها القراء ومضاتٍ تجعلهم يكملون
الطريق وهو يكمله ناقصًا بدونك.

لازال يبعثُ لكِ رسائله المبهمة مع الريح عليها
تحتضن وجهك بين راحتها وتهمس لقلبك بما
يُريد الإفصاح عنه، لكنه رغم كل ذلك لازال
يكتُبكِ وينتظر".

خشيتُ أن أُرسلَ لكَ مَرحبًا فتقرأها مَرَّ حُبًّا.
فكلما أردتُ مُحادثتكَ أقف على أعتاب مُحادثتنا
القديمة مُتراجعةً فيتبخر كل ما كُنت مُقدمةً
على قوله، يرى الجميع أن المُبادر بالصفح
لأبد أن يلتمس العُذر ويُحسن الظن وكُنتُ
الفاعل الوحيد لكليهما.

بينما كُنتَ فقط تُجيد خيانة العهود وقلبي، وكان
بترُ حبال الود لديكَ أمرًا هينًا، كُنتَ الوحيدة من
ينسج حبال الوصال مُجددًا.

تعلمُ جيدًا أنني لن أقتحمَ خلوتكَ بمساء الخير
أو اشتقتُ إليك؛ لأنني لا أُجيد الحنين ولم أُصب
به يومًا.

لن تجف أدمعي رثاءً لميتٍ مثلكَ اتخذ من قلبي
مقبرةً له ولو أصابني الجوى؛ فادمعنا لا نهبها
سوى لمن يستحقها.

لم يُصبح قلمي مجنونك كما تظن ولا تتسكبُ
الذكرياتُ من دواتي حُزنًا لما آلت إليه الأمور،
بل مُحي كل شيءٍ بتلك اللحظة التي سطرتَ
بها نهاية الطريق.

فقط وددتُ لو أخبرتكُ أن مُر حُبك مرَ بي فأثقل
كاهلي، ثم لا مَرحبًا ولا مُرحبًا بكَ أدبر ولا
تُقبل".

مجهوداتنا المتعلقة بالحُب أيضاً يتذكرها
التاريخ، فلقد بذلتُ جهداً عظيماً لنألا تفضحني
عيناى وترتبك نبضاتُ قلبى فى حضرتِه، لكن
كما هو بديهي فالفشلُ الذريع يكون بدايةً جميع
المحاولات المُستميتة للوصول لأي مُبتغى.

تلك الأعين التي يشعُ منها النور تُخفي خلف
لمعتها شخصٌ أصابه الجوى، يتسائل من
أضاء نبراسِ الحُب بقلبي؟

فى الحقيقة إن سهم الحُب حينما يُصيب أحدهم
يأتيه بغتة؛ فيصيرُ أسيراً لعيني أحدهم أو نبرة
صوته وأحياناً طيب منبته.

التقينا ذات مرةٍ بين شطري قصيدة، فوجدته
يبتسمُ فى مطلعها وعم العبوس وجهه فى

نهايتها؛ حكاية لم يعلم بها سوى كلمات اللغة
والكتابة وبعض القراء المخضرمين بما أكتبه.

قد أقع بقلب شخصٍ لأنه يُحسن نطق حرف
الهاء بمطلع اسمي، أو لأنه يُقدس اللغة
ويهوى القصائد، ولربما يقص القصص
ويرويها لمسامعه؛ فذلك الذي يتذوق النص
قبل قرائته لا يمكن أن يخون قلبًا.

كان فريداً من نوعه لتلك الدرجة التي جعلته
عالمًا بي، أو علقتُ به لا أدري، منذ أن التقينا
همس لي قلبي؛ لا يمكن لهذه الملامح أن تكون
عابرة، ليست محض صدفةً أن أرى جزئي
المفقود فيه فأكتملُ به أو يكتملَ بي.

لم يكن نصفي الآخر بل كان كلُّ كُليّ، فكلَّ القلمُ
أمامَ وصفه وعجز الكلمُ عن فعله، بهيُّ الطلعةِ
مُحمّدي المنبت، وقور الحضور يُنتسُ به حتى
ولو كان غائبًا يكفيننا عبيرُ أثره.

فؤاده يساع حنان العالم فيربثُ على قلوب
المارة وإن لم يكن يعرفهم، يقبلُ دموع الباكين
فيستحوذُ بلطفه على خفايا دواخلهم.

لم تكن محضُ صدفةٍ ولا لقاءً عابر، بل عناقُ
بين قلبين أقسم كلاهما بعد اليوم لن يفترقا ولو
تفرقت سبلهم.